نَسْخُ المصاحف بمنطقة الجلفة خلال القرن التاسع عشر

قراءة في رسالة مخطوطة متبادلة بين مدرسّي القرآن بزوايا الجلفة

Copying the Qur'an in Djelfa region during the nineteenth century: A reading in a manuscript exchanged letter between the teachers of Qur'an in Zawaya of Djelfa

د. إسماعيل زيـــان[1]
أستاذ تعليم متوسط (ولاية الجلفة)
ziane_ismail2005@yahoo.fr

تاريخ الوصول 2022/12/16 القبول 2023/07/10 النشر على الخط 2023/09/15
Received 16/12/2022 Accepted 10/07/2023 Published online 15/09/2023

ملخص:

تقدّم هذه الورقة البحثية جانبا من الحياة العلمية لبعض مدرّسي زوايا منطقة الجلفة في منتصف القرن التاسع عشر، خاصة ما تعلّق بتدريس القرآن الكريم ونَسْخِهِ، حيث كان أولئك الشيوخ ينسخون القرآن الكريم إمّا فرادى أو جماعات، كي يزيدوا من عدد المصاحف في الزوايا، أو طلبًا من أعيان المنطقة في ذلك الوقت. لهذا ستتطرّق هذه الورقة إلى دراسة رسالة متبادلة بين الأخوين أحمد وآدم من عائلة ابن دلماجة بمنطقة الصدارة بالجلفة، وبين الشيخ محمد بن الطاهر المستغانمي الأصل، مدرّس القرآن بزاوية الشيخ ابن عياش بمنطقة مسعد، والتي كان موضوعها أجوبة على بعض الاعتراضات والأخطاء الموجودة في إحدى نُسَخِ القرآن التي نسخها الأخوان أحمد وآدم ابن دلماجة.

الكلمات المفتاحية: نسخ القرآن؛ الجلفة؛ محمد بن الطاهر المستغانمي؛ آدم بن دلماجة؛ القرن التاسع عشر.

Abstract:

This research paper presents an aspect of scientific life of some teachers of Djelfa region Zawaya in the middle of the 19th century, especially with regard to teaching and copying the Holy Qur'an. For this reason, this paper will address the study of an exchanged letter between the two brothers ,Ahmed and Adam from Ibn Dalmaja family, and Sheikh Muhammad bin Tahar Al-Motaghanemi, who originally, taught the Qu'ran at the Sheikh Ibn Ayyash Zaouia in Messaad region,whose subject was answers to some objections and errors found in one of Qur'an copies by brothers Ahmed and Adam.

Keywords: *Qur'an copying; Djelfa; Muhammad bin Tahar Al-Motaghanemi, Adam Ibn Delamja; 19th century.*

[1] المؤلّف المراسل: إسماعيل زيان البريد الإلكتروني: **ziane_ismail2005@yahoo.fr**

1. مقدمة:

كانت منطقة الجلفة في العهد العثماني من بين أهمّ نقاط العبور للرحّالة المغاربة، حيث كان مسار الركب الحجازي المغربي يمرّ ببعض قرى ومداشر منطقة الجلفة، كمسعد والبرج وعبد المجيد، وغيرها من نقاط العبور التي كانت تزوّد الحجّاج بالماء العذب، وتمثّل لهم مراكز لتبادل وشراء السلع والمؤن، وقد ساعدت تلك الحركة التي كان يقوم بها أولئك الرحّالة بالتقاء بعض علماء المغرب الأوسط أو الأقصى مع سكان تلك القرى والمداشر، فتشكّلت بسببها بعض الزوايا التي تدرّس القرآن، ولعلّ أهمّ مثال على ذلك استقرار الشيخ محمد بن علي السنوسي الخطّابي في منطقة مسعد مدّة سنتين أو أكثر، واستحداثه دارا بها بعد تزوّجه من إحدى نساء القرية آنذاك[1]، ثمّ افتتاحه لأوّل زاوية له فيها[2]، لينتقل بعد ذلك إلى ليبيا ومن ثمّ إلى الحجاز.

وقد تطوّر الأمر إلى اقتناء وشراء المصاحف والكتب المخطوطة من الرحّالة الحجازيين، فأثرى ذلك بعض خزائن الزوايا والخزائن الخاصة، وقد ساهم مجيء بعض شيوخ الطرق الصوفية في زيادة عدد الزوايا وتنشيط حركة تدريس القرآن ونسخه، ومن جملة أولئك الشيخ موسى بن حسن الدرقاوي الذي أسّس بعض الزوايا والرباطات في مناطق الجلفة، ومن بينها منطقة مسعد ومنطقة الشارف[3].

وقد أدّى انتقال بعض الطلبة من منطقة الجلفة لزوايا بسكرة إلى زيادة الوعي عند أعيان البلد وقتها، ومن جملتهم الشيخ الشريف بلحرش الذي درس بزاوية الشيخ المختار الجلالي، ثمّ رجع إلى الجلفة وأصبح من خلفاء الأمير عبد القادر بالمنطقة، ليبني بعدها أوّل زاوية في مركز الجلفة آنذاك، وينتدب لها شيوخا ومقرئين لهم باعٌ في تدريس القرآن بالأحكام.

ولعلّ أهمّ مدرّسي الزوايا الذين اشتهروا في منتصف القرن التاسع عشر بمنطقة الجلفة، الشيخ محمد بن الطاهر المستغانمي الذي كان يدرّس بزاوية الشيخ ابن عياش بمنطقة مسعد، والذي ذاع صيته بعد مجيئه إلى ربوع منطقة أولاد نايل وقتها، إضافة إلى الشيخ آدم بن دلماجة المدرّس بزاوية الشريف بلحرش بالجلفة وأخيه الشيخ أحمد بن دلماجة، وقد ساهم أولئك الشيوخ في تحريك عجلة الحياة العلمية في ذلك الوقت، فتزاحم الطلبة عليهم، وكانوا يأخذون عليهم علوم القرآن والفقه، وكانوا يعلّمونهم كيفية نسخ المصاحف على أصولها المعروفة.

ولقد كان أولئك الشيوخ على تواصل دائم، يتدارسون المسائل العلمية عن طريق الرسائل المتبادلة بينهم، فيستشكلون على بعضهم البعض، ويتناقشون في مسائل فقهية أو مسائل متعلقة بالكتابة والنسخ، ولعلّ أهم ما يدلّ على ذلك هو هذه الرسالة التي بين أيدينا، والتي تمثّل ردّا على بعض الإشكالات التي أوردها الشيخ محمد بن الطاهر المستغانمي على الشيخ أحمد بن دلماجة، حيث

---

[1] R. Louis, Marabouts et khouan: étudesur l'islam en Algérie, Adolphe Jourdan; Libraire-Éditeur, 1884, P: 484.

[2] أحمد الصدقي الدجاني، الحركة السنوسية نشأتها وتطوّرها في القرن التاسع عشر، دار لبنان للطباعة والنشر، لبنان، 1967، ص 58.

[3] مسعود بن سالم ومجموعة مؤلفين، مقاومة الحاج موسى بن الحسن المدني الدرقاوي، دار الجلفة إنفو للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2017، ص 123-125.

كانت بحقّ صورة للواقع العلمي الذي كان سائدا في ذلك الوقت، وللحديث عن هذه الرسالة وجب طرح الإشكالية التالية: ما هو واقع نَسْخُ القرآن في منطقة الجلفة في منتصف القرن التاسع عشر؟

وللإجابة عليها، وجب وضع بعض الأمور التي تساعد على الإحاطة بالسياق التاريخي للرسالة، وبالأشخاص المعنيّين بها، ومنها:

- التعريف بزاوية الشيخ ابن عياش وبالشيخ محمد بن الطاهر المستغانمي.
- التعريف بزاوية سي الشريف بلحرش وبالشيخ أحمد بن دلماجة وأخيه آدم.
- دراسة واقع نَسْخِ المصاحف في منطقة الجلفة من خلال مضمون الرسالة.

2. زاوية الشيخ ابن عياش بمسعد

1.2 . التعريف بالشيخ ابن عياش:

هو الشيخ الفقيه المقاوم، صاحب المواقف الجليلة، الشيخ محمد بن عيّاش بن عزوز، السعداوي، النايلي المولود في بدايات القرن التاسع عشر في بادية الدويس بالجلفة. أتى إلى مسعد، وأقام فيها مسجدا بحي النواورة، وأصبح في ما بعد زاوية تتبنّى الطريقة القادرية.

كان الشيخ ابن عيّاش أحد رموز الطريقة الرحمانية في منطقة مسعد، حيث جعله الشيخ المختار وكيله على الطريقة الرحمانية، وكانت مكانته في مسعد تقلق المستعمر الفرنسي، وقد أدّت حملة الجنرال لادميرو في قصر مسعد إلى توجّهه لبادية زاغز، حيث صادرت القوات الفرنسية جميع ممتلكاته وكان ذلك في الفاتح من جوان من سنة 1849م، ليغتال الشيخ ابن عيّاش بعد ذلك سنة 1852م على يد الاحتلال الفرنسي[1]، وضريحه الآن بالقرب من مسجده داخل الزاوية القادرية. أمّا عن قيمته القيادية عند أولاد نائل، فيقول دو سنفيتال إنّه بعد موت الشيخ ابن عيّاش لم يعرف أولاد نائل قائدا كبيرا آخر للرحمانية سوى الشريف بلحرش[2].

أنشأ الشيخ ابن عياش أوّل أمره مسجدا بمشاركة الشيخ موسى بن حسن الدرقاوي، وكانت تقام فيه الصلوات وصلاة الجمعة، لكن بوفاة الشيخين، وبناء جامع "الراس" بمسعد سنة 1858م، عطّلت الإدارة الفرنسية الصلوات في مسجد الشيخ ابن عياش[3]، وبقي المسجد مفتوحا لتدريس الطلبة وتحفيظهم للقرآن الكريم.

2.2 مجيء الشيخ محمد بن الطاهر المستغانمي إلى مسعد:

لم تقف زاوية الشيخ ابن عياش عن العمل، بل أكمل المسيرة أحد الأعلام والعلماء الذين كانت لهم قدم راسخة في علوم القرآن من تجويد ورسم، إنّه الشيخ محمد بن الطاهر المستغانمي، العالم الذي جاء إلى مسعد، ورابط في زاوية الشيخ ابن عياش،

---

[1] De Sanvital (Baron), Revue de l'Orient de l'Algérie et des colonies: bulletin et acte de la Société orientale, Just Rouvière Libraire, Paris, 1854, Tome: 15, p: 282

[2] Ibid.

[3] رسالة مخطوطة لقاضي مسعد عبد الغني التاوتي في حدود سنة 1918م، وهي من إفادات الأستاذ محمد بن صغير مدير مركز البحث في العلوم الإسلامية والحضارة بالأغواط .

فتخرّج على يده الكثير من الطلبة منهم ابن عزوز ابن الشيخ ابن عياش، ومنهم الشيخ علي بن خميلة الذي أصبح فيما بعد مقدّما للطريقة الرحمانية في مسعد.

اسمه الكامل هو محمد بن عبد القادر بن المختار بن الطاهر المستغانمي[1]، نشأ بين أهله في مستغانم، وعُرِفَ فيما بعد بينهم بالعلم، وقد قيل إنّه كانت له قرابة مع عائلة الشيخ محمد بن علي السنوسي الخطّابي، حيث جاء في بعض الروايات الشفوية أنّه انتقل إلى مسعد بغية الالتحاق بالشيخ محمد بن علي السنوسي، لكنّ أهل مسعد طلبوا منه البقاء لتعليم أولادهم القرآن الكريم وعلومه.

ويتضح من بعض الرسائل التي كانت تصله من أبناء عمومته من مستغانم، أنّه كان من أهل العلم المعروفين في بلده، وأذكرُ على سبيل المثال رسالة جاء في مقدّمتها: «جعلكَ الله قنديلا لا يطفى وسيفا لا يخفى، وهلالا إذا طلع بين النجوم لا يخفى، سيّد أقرانه ومصباح أهل زمانه، في الدين الصالح والبدر المالح، والرأي الراجح، الذي إذا قام يقوم بذكر الله، وإذا تكلّم نهى عن معصية رسول الله، الموافق لحدود الله التابع لسنّة رسول الله، المعروف باسمه المنعوت بذكره، أعني بذلك سيّدي [...] وغاية مرادي، وقطعة من أكبادي، من على الله وعليه اعتمادي، سيدي الفقيه اللبيب الذي أخذ من كلّ علم خصيب، سيدي محمد بن الطاهر، طهّر الله قلبه من الدنس والوسواس وجميع ما تكرهه الأنفاس»[2].

وفي رسالة أخرى جاء فيها: «إلى العالم العلامات، الفقيه الأديب، الزاد الرشيد سيدي محمد بن الطاهر»[3]، وفي رسالة أخرى: «إلى حضرة الوفي صافي القلب الذي ليس فيه دنس ولا بقا، ينبوع العلوم وحاذق الفهوم، المكرم السيّد محمد بن الطاهر»[4].

وقد كان الشيخ محمد بن الطاهر المستغانمي نسّاخة للمصحف للشريف، حيث نسخ عدّة مصاحف، من بينها نسخة كاملة نسخها ببلدة مسعد سنة 1255هـ/1839م، وفي ذلك دلالة واضحة على قدومه إلى مسعد قبل هذا التاريخ، أي سنة 1839م، حيث كتب في قيد الفراغ ما يلي: «كمل المصحف المبارك الكريم بحمد الله وحسن عونه وتوفيقه الجميل، وصلّى الله على سيّدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، على يد كاتبه لنفسه الحقير الذليل الراجي عفو مولاه، عبد ربّه محمد بن عبد القادر بن المختار بن الطاهر المستغانمي غفر الله له ولوالديه ولوالدي والديه، ولأشياخه كافّة ولإخوانه ولأحبابه ولقربته ولمن زرع الخير فيه ولجميع المسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات. وكان الفراغ منه من الخطّ يوم الأحد بعد صلاة الظهر في شهر الله المعظّم الأجلّ، المولود فيه سيّد الأنبياء والرسل صلّى الله عليه وسلّم، ربيع الأوّل بعدما مضت منه ستة أيّام، عام خمسة وخمسين بعد المائتين والألف، عام 1255، وصلّى الله على سيّدنا محمد وآله وصحبه وسلم، ولا حول ولا قوة إلّا بالله العليّ العظيم، كتبتهُ في مسعد».

---

[1] هذا الاسم مكتوب في آخر نسخة لمصحف نَسَخَهُ سنة 1255هـ/1839م، وهو محفوظ عند أحد أحفاده بمدينة مسعد، وهو الأستاذ الفاضل البشير طالب.

[2] رسالة (1) محفوظة بخزانة الزاوية القادرية بمسعد.

[3] رسالة (2) محفوظة بخزانة الزاوية القادرية بمسعد.

[4] رسالة (3) محفوظة بخزانة الزاوية القادرية بمسعد.

ثمّ حبس الشيخ محمد بن الطاهر هذا المصحف وكتب على طرّة المصحف صيغة الحبس فجاء فيها: «هذا المصحف الكريم حبس لوجه الله الكريم، لا بيع ولا شراء، حبّسه كاتبه على نفسه ولوالديه وعلى أجداده، ليوم لا ينفع مالٌ ولا بنون إلّا من أتى الله بقلب سليم، فالله حسيب من بدّل أو غيّر والسلام».

وقد كانت للشيخ محمد بن الطاهر المستغانمي خزانة من الكتب والرسائل المخطوطة أقدمها مصحف نُسِخَ سنة 1087هـ من طرف الشيخ محمد بن أحمد عيش بن سعيد بن تامتنة المستغانمي، وكانت تلك الخزانة في السابق محفوظة بخزانة مسجد الشيخ ابن عيّاش، ومع بناء مقرّ الزاوية القادرية بمسعد انتقلت إلى خزانة القائم على الزاوية القادرية السيّد أحمد القن.

أمّا وفاة الشيخ محمد بن الطاهر قبل سنة 1864م، وذلك استنادا على وثيقة حبوس ممضية من طرف قاضي بلدة مسعد آنذاك الشيخ محمد بن فتاشة، والتي حبس فيها الشيخ ابن عزوز ابن الشيخ ابن عياش بعض أملاكه على أولاد الشيخ محمد بن الطاهر وهم: محمد الطيب والمختار وعبد القادر[1].

3. زاوية الشريف بلحرش

1.3 . التعريف بالشيخ الشريف بلحرش:

هو الشيخ محمد الشريف بلحرش، ولد بمنطقة زاغز ناحية من نواحي الجلفة سنة 1803م، تعلمّ ببلده حتى بلغ سنّ الشباب، فرحل إلى زاوية الشيخ المختار الجلّالي، فدرس على يده بعض العلوم الشرعية، وأخذ عنه الطريقة الرحمانية، ثمّ أذن له بالتدريس بمنطقة الجلفة ونشر تعاليم الطريقة الرحمانية. ولمّا وصل دولة الأمير عبد القادر إلى مناطق الجلفة، أصبح الشريف بلحرش خليفة الأمير عبد القادر على مناطق أولاد نايل، فحارب معه الاستعمار الفرنسي، إلى غاية استسلام الأمير عبد القادر، ليدخل الشريف بلحرش مرحلة أخرى من حياته وذلك بتقلّده باش آغا على أولاد نايل.

بنى الشيخ الشريف بلحرش أوّل زاوية بمركز الجلفة سنة 1850م، وانتدب للزاوية الشيخ آدم بن دلماجة للتدريس، فزاد عدد الطلبة حتى بلغ 300 طالب آنذاك، وكانت الزاوية مركزا للتدريس ولإطعام الطعام خاصة للطلبة وبعض الفقراء والمساكين، وقد كانت وفاته سنة 1864م، ودفن في داره بالجلفة[2].

2.3 . التعريف بشيوخ عائلة بن دلماجة:

كان لعائلة ابن دلماجة فضلٌ كبير في تعليم القرآن الكريم ونسخه بمنطقة الجلفة، خاصة الأخوين أحمد وآدم، فالأوّل الذي لا نعرف عنه الكثير سوى هذه الرسالة المدروسة في هذه الورقة البحثية، يبدو أنّه كان يشتغل بتعليم القرآن بالبادية، حيث ذكر أنّه أخذ علوم القرآن بمنطقة زواوة على يد الشيخ محمّد المكنّى بالغَيْرَباني[3].

---

[1] إسماعيل زيان، صفحات مطوية من تاريخ منطقة مسعد، دار نشر الجلفة أنفو، الجزائر، 2021، ص 327.

[2] علي بن عبد الله نعاس، تنبيه الأحفاد بمناقب الأجداد، مطبعة الرويغي، الأغواط، ط2، 2016، ص 66-68.

[3] لم أقف عليه.

أمّا الشيخ آدم فقد وُلِدَ حوالي سنة 1807م، بمنطقة الصدارة بحاسي بحبح، حيث تربّى على يد والده، فحفظ القرآن، ثمّ انتقل بعد ذلك إلى زاوية الشيخ المختار الجلالي ودرس هناك، فأخذ قسطا وافرا من العلم، ثمّ رجع إلى الجلفة، ونشط كمدرّس في زاوية الشيخ الشريف بلحرش الذي زوّجه ابنته كي يوطّد العلاقة معه على ما يبدو، فتخرّج الكثير من الطلبة على يديه.

وبعد بناء مسجد الجلفة العتيق سنة 1862م، كان الشيخ آدم أوّل إمام له، وزاول إلى جانب ذلك مهنة القضاء في منطقة زاغز بالجلفة، لكنّه تعرّض للمضايقات من طرف السلطات الفرنسية التي رأت أن تعزله من منصبه الذي كان فيه[1]. توفّي الشيخ آدم سنة 1922م، ودفن بالقرب من الشيخ عبد الرحمن النعاس المتوفّى سنة 1907م[2].

ويضاف إلى عائلة بن دلماجة اسم آخر وهو القاضي مصطفى بن الطيب بن دلماجة الذي كان من القضاة المعروفين بمنطقة الجلفة في ذلك الوقت، حيث كانت له بعض الشهادات لعقود تحبيس البساتين، ولبعض المصاحف المنسوخة، من ذلك نسخة من مصحف حُبِسَ سنة 1259هـ/1843م[3].

4. رسالة الشيخ محمد بن الطاهر للشيخ أحمد بن دلماجة وردّه عليه

1.4 . وصف الرسالة:

توجد هذه الرسالة ضمن مجموعة من الرسائل الخاصة بالشيخ محمد بن الطاهر المستغانمي، وهي محفوظة في خزانة القائم على الزاوية القادرية السيّد أحمد القن، والرسالة تقع في ورقتين، مكتوبة بخطّ مغربي جيّد، استعمل فيها الناسخ اللونين الأسود والأحمر.

2.4 . مضمون الرسالة:

أمّا مضمون الرسالة فقد كان ردّا على طلب الشيخ محمد بن الطاهر من الشيخ أحمد بن دلماجة لِنَسْخِ رُبعٍ مصحف، فانتهز الشيخ أحمد بن دلماجة مجيء أخيه الشيخ آدم قادما من زاوية الشيخ الشريف بلحرش، فتعاون الرجلان في نسخ الربع في مدّة سبعة أيّام، ثم أرسلاه للشيخ محمد بن الطاهر المستغانمي، لكن هذا الأخير أبدى بعض الانتقادات حول رسم المصحف، فأرسل لهما رسالة لخّص فيها تلك الانتقادات، فردّ الشيخ أحمد بن دلماجة على تلك الانتقادات بعدما قدّم بمقدّمة يمدحُ فيها الشيخ محمد بن الطاهر، ويثني على علمه، وتمكّنه في علم الرسم القرآني، ثم أجاب على سؤالات الشيخ محمد بن الطاهر مستشهدا ببعض الكتب المعتمدة في هذا الباب.

ابتدأ الشيخ أحمد بن دلماجة في رسالته مادحا للشيخ محمد بن الطاهر قائلا: «الفقيه الإمام العالم المتفنن الحافظ الصدر الأعرق، المحقّق المدرّس الشهير الأفضل سيّدنا محمد بن الطاهر، وعليك السلام بالردّ الواجب وألفُ ألفٍ منّا تفضّلا، ورحمته تعالى وبركاته، وبعد، فقد ورد علينا قرطاسك، تصفّحناه وحقّقنا ما حواه، وأنّك وجدت في الربع كذا وكذا، بعد تحقيق نظرك، فذلك حقٌّ

---

[1] المسعود بن سالم، قصة الحرب الدينية على منطقة الجلفة، جريدة الجلفة أنفو الالكترونية:
http://www.djelfainfo.dz/ar/homme_histoire/12685.html

[2] علي بن عبد الله نعاس، نفس المرجع السابق، ص 182-188.

[3] ينظر: الملحق الأخير من المقال.

بارك الله فيك، وسنبّين لك إن شاء الله ذلك عن كلّ كلمة إمّا نصٌّ أو شرحٌ حتى تعلم منّا عالمين بذلك، ولنقدّم قبل الاشتغال بالكلام مقدّمة ينبني عليها عدم نظرنا في الربع وعدم ممارستنا له».

ثمّ بدأ الشيخ أحمد بن دلماجة بسرد الأحداث التي واكبت نسخه لربع المصحف هو وأخيه الشيخ آدم وذلك بقوله: «اعلم وأنّ السيّد آدم شقيقنا قد قدم إلينا بالأوراق، وجعل له السيّد الخليفة سبعة أيام يقيم عندنا، فرسمت ذلك نحن وإيّاه في الأجل بالعجلة، فمنه مخافة الزيادة على الأجل، ومنّا قراءة الزاوية، وأمّا الضبط تخالفت عليه الأيد من كوننا أمرنا طلّابة يضبطوا معنا، ولم ننظره[1] بعدهم، والضبط هو الذي ينبّه عمّا ويصحّح نفسه، ونقلنا من غير إمعان نظر منّا ولا محالة في ذلك، لأنّ الخطأ من شأن الإنس، ألا ترى[2] إلى قول الخرّاز لمّا انتهى من نظمه[3] في «مورد الظمآن» وبلغ أربع مائة بيت وسبع وثلاثين[4] بيتا، ثمّ انتسخ وانتشر ورآه أناس شتّى، ثم قال: كنتُ عثرتُ فيه على مواضع كنتُ وهمت فيها وأصلحتها، فبلغ اثنتين وخمسين بيتا وأربعمائة، فصار إلى نيّف على ما سبق منه خمسة عشر بيتا. ثمّ قال: فمن قيّد فيه نسخة فليثبت هذا بآخرها ليقف على صحّته، فتأمّل، واعتبر أيضا قول الثعالبي في آخر شرحه للدرر اللوامع لابن برّي قال: فمن عثر فيه على خلل أو اطّلع فيه على ذلك ممّا طغا به القلم أو جرى[5] به اللسان ممّا لم يعصم من الإنس، فليلتمس لمؤلّفه عذرا، أو يصلح ما رآه يعظم له أجرًا، فتأمّل قول الأئمة فما بالك بنا طلب العذر».

ثمّ بدأ الشيخ أحمد بن دلماجة يرّد على سؤالات الشيخ محمد بن الطاهر، وإشكالاته، مستشهدا في ذلك على ما نقله علماء هذا الفن، حيث قال: «وقولك: "تكثر في الخلافات وتنظرها من النسخ"، فليس الأمر كما زعمت بل ننظر[6] في النصوص عندنا الآن: "مورد الظمآن" وشارحه للسملالي والطراز، وتأليف ابن برّي وشارحه في الثعالبي"، والخلافات الذي نوجّه بها أئمة [7] هذا الفنّ، إمّا أبو[8] عمرو أو أبو[9] داوود أو الداني أو البلنسي أو التجيبي أو اللبيب أو غير ذلك، وما ينكر أحد اختلاف الأئمة فخلافهم رحمة، ألا ترى افتراقهم في السبع ما حملهم على ذلك؟ واختلاف ورش وقالون في جميع القرآن سوى القليل، ولم نجد[10] أئمة فنّ متّفقين قطّ، فمن أخذ بقول كأنّه أخذ بالجميع إلّا ما طرحوه ونبذوه وراء ظهورهم، ولكن علينا الاقتداء بهم، نسلم[11] من المخالفة والغيبة في أعراضهم والكلّ سلف لنا. ثمّ اعلمْ سيّدنا قد جاوبتنا عمّا سألناك عنه آنفا بارك الله فيك، وفيما عندك من المال

[1] في الأصل: ننظروه.
[2] في الأصل: ترا.
[3] في الأصل: نضمه.
[4] في الأصل: ثلاثون.
[5] في الأصل: جرا.
[6] في الأصل: ننظروا.
[7] في الأصل: الأئمة.
[8] في الأصل: أبوا.
[9] في الأصل: أبوا.
[10] في الأصل: نجدوا.
[11] في الأصل: نسلمو.

والبنين وطلبنا منك ذلك استرشادا لكي تنشط للشكر، وتقوى[1] عن هذا الفنّ، وربّما أنت تزيدنا حلّ بعض الألفاظ، لأنّك شيخ تربيةٍ كالذي أخذنا عنه هذا الفنّ أستاذنا محمّد المكنّى الغَيْرَباني ببلاد ازواوة، رحم الله الجميع، وعفا عنكما وعلينا آمين».

ثمّ ختم الشيخ أحمد بن دلماجة رسالة بطلب العذر من الشيخ محمد بن الطاهر، وطلب الدعاء له الخلوات والجلوات حيث قال: «ثمّ اعلم سيّدنا لو لم يكن لنا إطنابٌ وطول كلام يملّه الناظر أو السامع، لجاوبنا عن كلّ كلمة وحرفٍ ومخرجه وصفته[2] للنطق للنطق بذلك، إمّا همسا أو جهرا، أو غير ذلك من أقوال الأئمة، وحقٌّ عليك عذرنا سيّدنا، كما أنّ كلّ مؤلّف يطلب عذرا أو يلمسه من الدهاة[3] في العلوم مثلك، لأنّك إمام من الأئمة المتقنين، وعليك السلام من طالبٍ منك صالح الدعاء في خلوتك وجلوتك. من خطّ حقير الورى[4] أحمد المكنّى بن دلماجة بن أحمد بن أحمد بن دلماجة وفقه الله، آمين وصلى اللّهم على الحبيب محمد وآله وصحبه، انتهى في السابع عشر، في اليوم السابع من مولده صلى الله عليه وسلّم».

5. خاتمة:

إنّ دراسة حركة نسخ المصاحف في الجزائر خاصة عامة ومنطقة الجلفة خاصة من شأنه أن يجلّي بعض صور الحياة العلمية في تلك المنطقة، خاصة أنّ نسخ المصاحف كان يحتاج إلى يد خبيرة في الخطّ من جهة، وإلى معرفة كبيرة بالرسم العثماني، واختلاف العلماء والقرّاء فيه، وقد كانت الرسالة المدروسة في هذه الورقة البحثية مثالا واضحا على القيمة العلمية التي كان يحظى بها بعض شيوخ الزوايا ومدرّسيها على شاكلة الشيخ أحمد بن دلماجة وأخيه آدم أو الشيخ محمد بن الطاهر المستغانمي الأصل المسعدي المستقر، فقد حظي المصحف الشريف برعاية كبيرة من طرفهم وطرف طلبة منطقة الجلفة، فكثر استنساخه وشراء نسخه، ومن بعد ذلك حَبْسُهُ ووقفه من طرف المحسنين على الزوايا والمساجد.

[1] في الأصل: تقوا.
[2] في الأصل: صيفته.
[3] في الأصل: الدهات.
[4] في الأصل: الورا.

الملاحق:

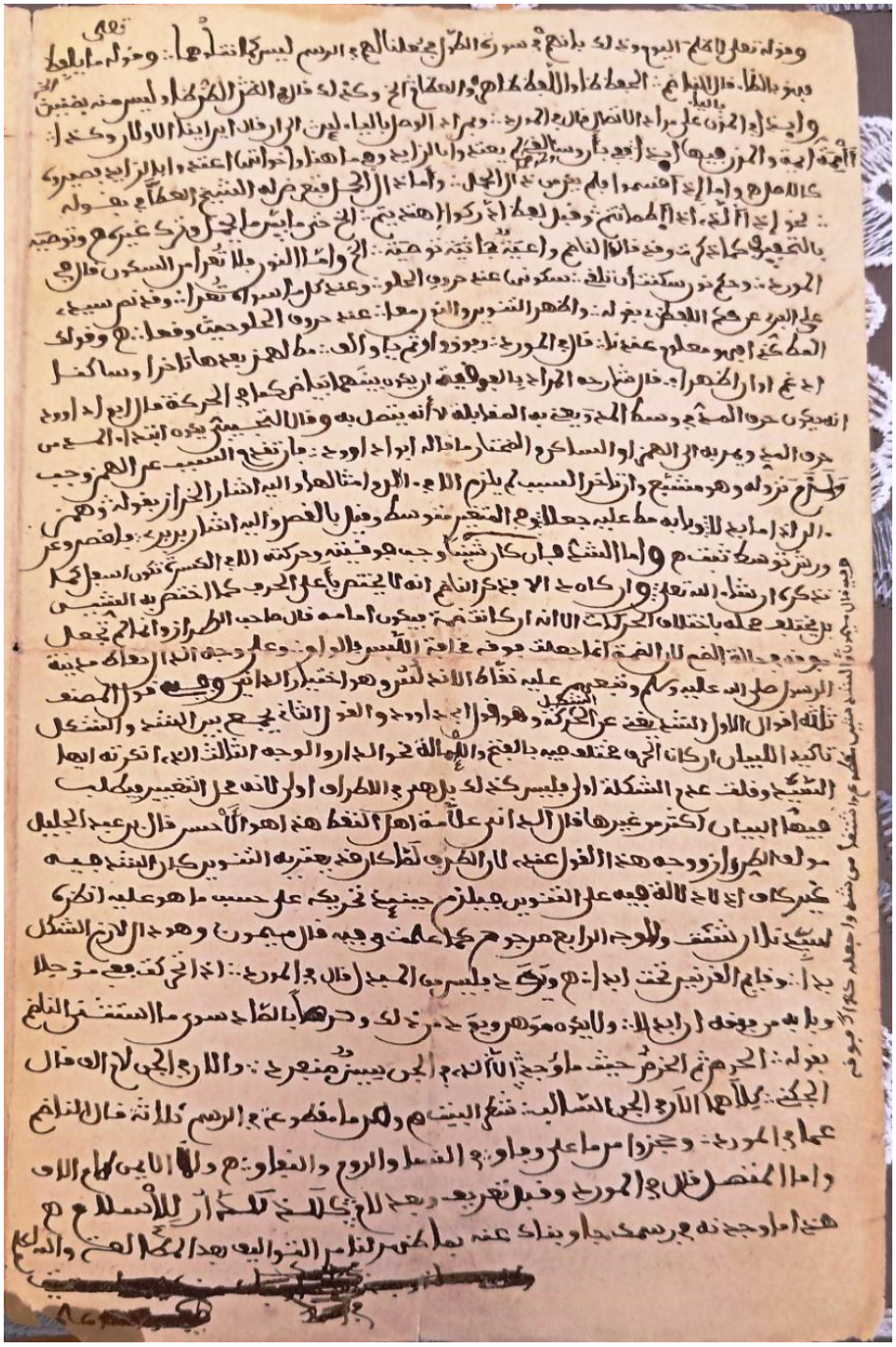

الصفحة الأولى من الرسالة

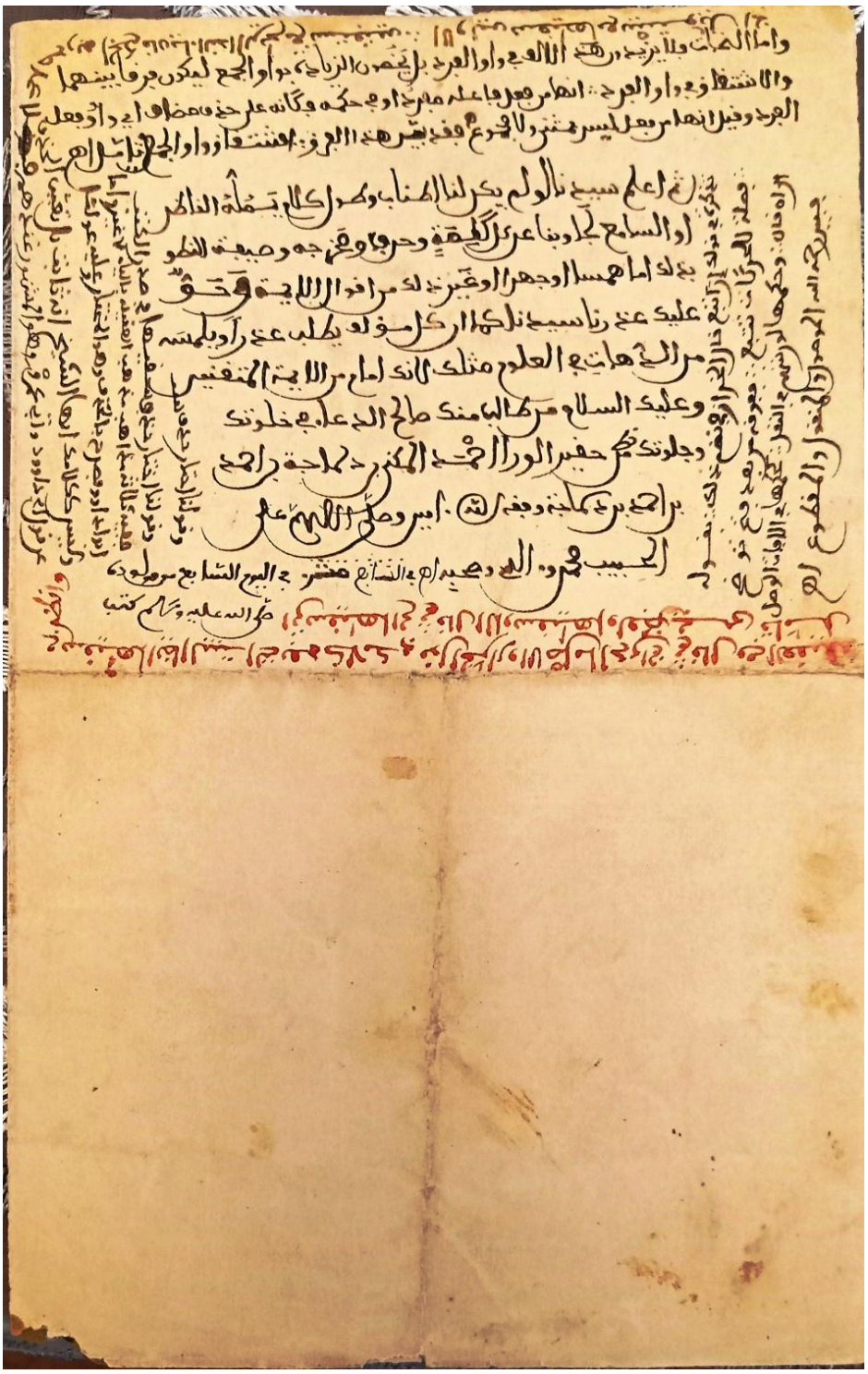

الصفحة الأخيرة من الرسالة

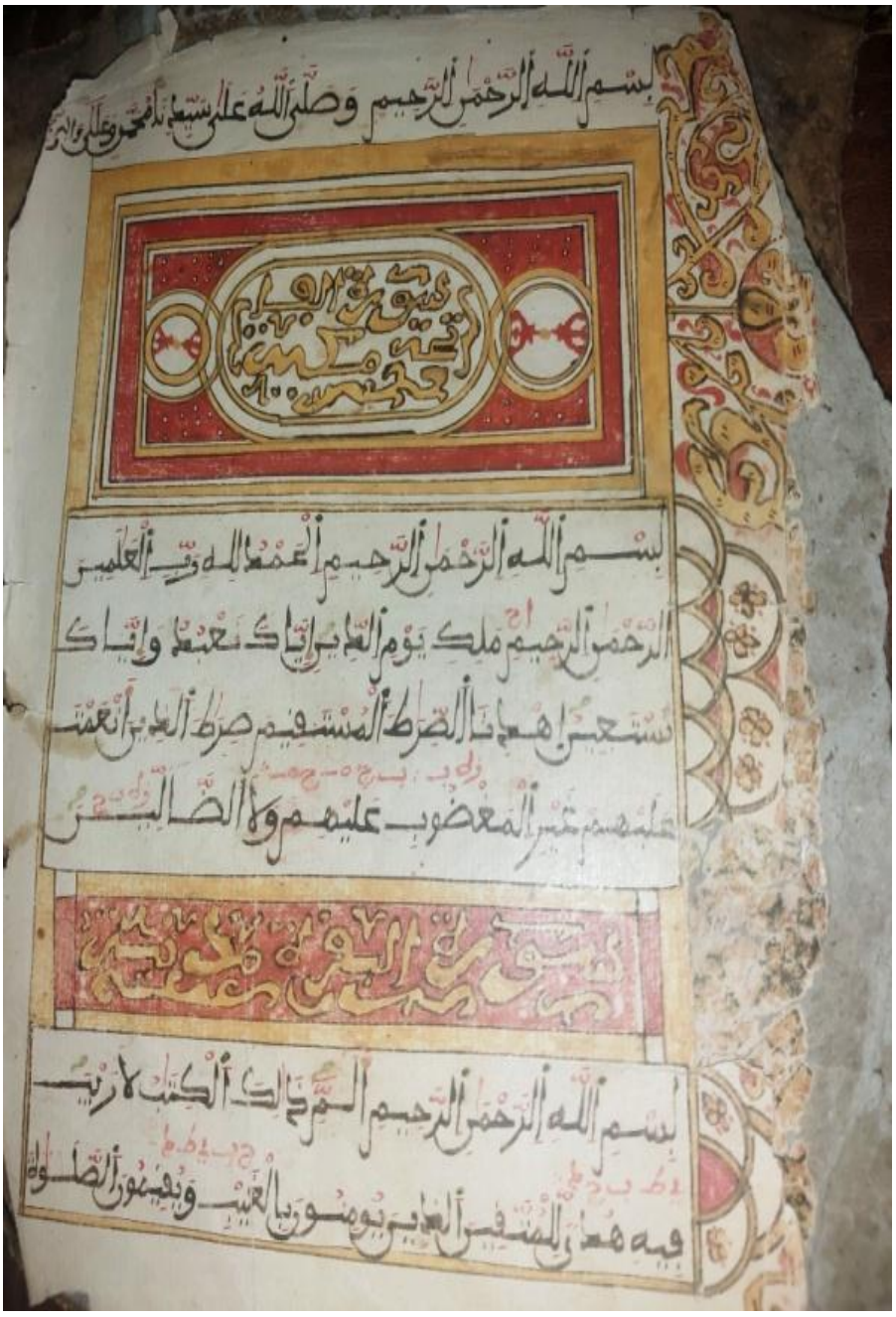

الصفحة الأولى من مصحف بخطّ الشيخ محمد بن الطاهر

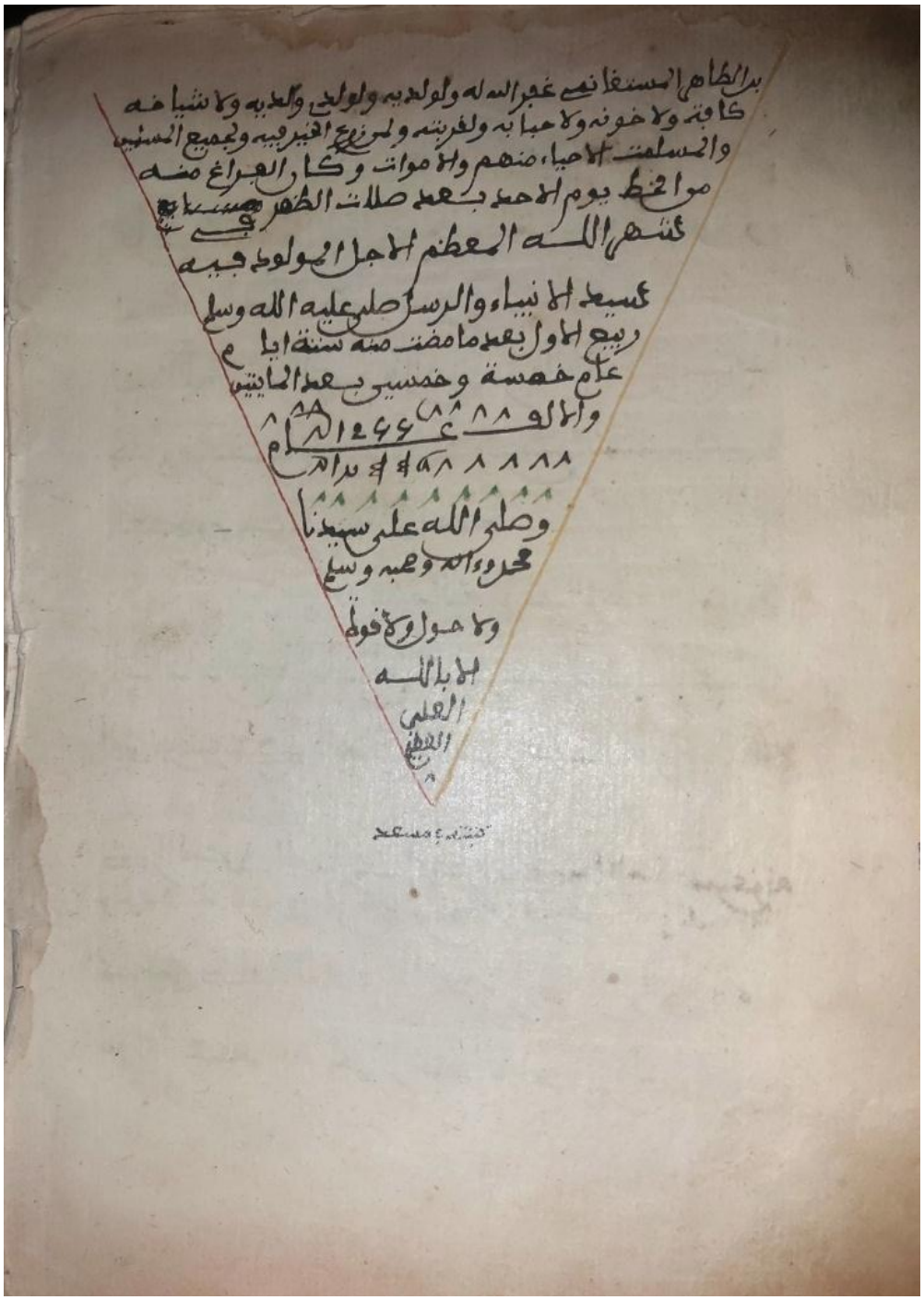

الصفحة الأخيرة من مصحف بخطّ الشيخ محمد بن الطاهر

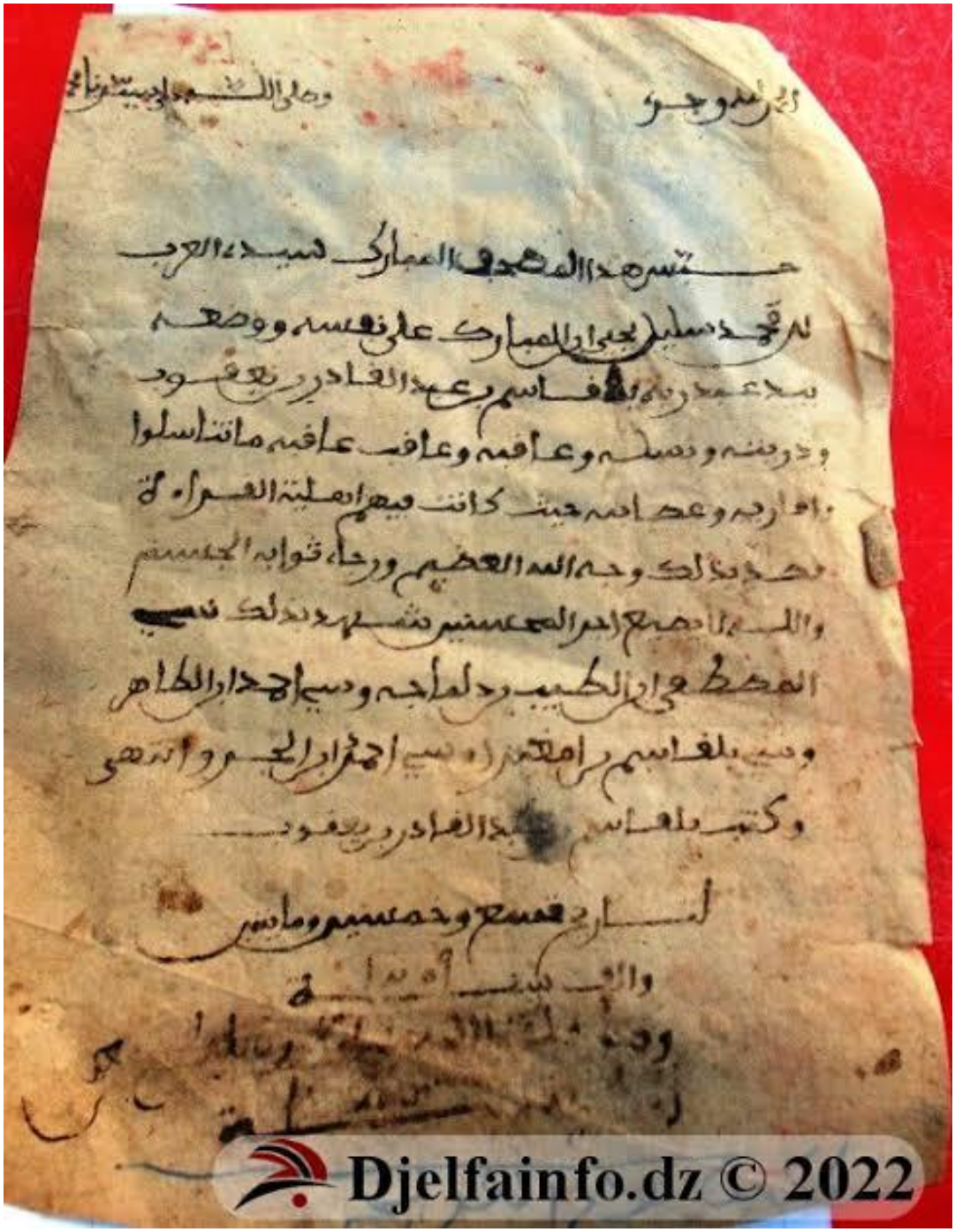

وثيقة حبس لمصحف شريف بشهادة القاضي مصطفى بن دلماجة سنة 1259هـ

(المصدر: الأستاذ خلوفي عدة)

6. قائمة المراجع العربية: [1]

- نسخة من المصحف الشريف مخطوطة سنة 1839م.
- رسالة مخطوطة متبادلة بين أحمد بن دلماجة ومحمد بن الطاهر المستغانمي.
- رسالة مخطوطة لقاضي مسعد عبد الغني التاوتي في حدود سنة 1918م.
- 3 رسائل متبادلة بين الشيخ محمد بن الطاهر وأقاربه، محفوظة بخزانة الزاوية القادرية بمسعد.
- أحمد الصدقي الدجاني، الحركة السنوسية نشأتها وتطوّرها في القرن التاسع عشر، لبنان، دار لبنان للطباعة والنشر، 1967.
- المسعود بن سالم ومجموعة مؤلفين، مقاومة الحاج موسى بن الحسن المدني الدرقاوي، الجزائر، دار الجلفة إنفو للنشر والتوزيع، ط1، 2017.
- إسماعيل زيان، صفحات مطوية من تاريخ منطقة مسعد، الجزائر، دار نشر الجلفة أنفو، 2021.
- علي بن عبد الله نعاس، تنبيه الأحفاد بمناقب الأجداد، الأغواط مطبعة الرويغي، ط2، 2016.
- المسعود بن سالم، قصة الحرب الدينية على منطقة الجلفة، جريدة الجلفة أنفو الالكترونية :

(le 5/11/2022)http://www.djelfainfo.dz/ar/homme_histoire/12685.html

7. قائمة المراجع الفرنسية: [2]

- De Sanvital (Baron), Revue de l'Orient de l'Algérie et des colonies: bulletin et acte de la Société orientale, Paris, Just Rouvière Libraire, 1854, Tome: 15.
- R. Louis, Marabouts et khouan: étudesur l'islam en Algérie, Adolphe Jourdan; Libraire-Éditeur, 1884.